

— ١٢٨ —

القدر لأنفسهم بهذه الصورة ، على الرغم من تقدم العقيدة الإلهية في عهد الفلسفة وعهد الديانات السرية .

وقد أراحهم هذا الفهم من مشكلة القضاء والقدر عند أصحاب الديانات الأخرى ، لأن المشكلة إنما تأتي من محاولة التوفيق بين إرادة إلهية ، محيطية بكل شيء مقدرة لكل حساب ، وبين فعل الإنسان للشر طوعا لتلك الإرادة . فإذا آمن الإنسان بإله يمكن أن يقابله الإنسان بالطاعة والعصيان ، ويمكن مع هذا أن يعدل عن العقاب إلى الثواب ، وعن الثواب إلى العقاب ، فلا مشكلة هناك ولا موجب من ثم لمحاولة التوفيق بين إحاطة القدر بكل كبيرة وصغيرة ، وبين حرية الإنسان .

ولهذا سهل على رجل مثل يوسفوس أن يقول : « أن الأمور كلها تجري بقدر مقدور ولكنه لا ينتزع من الإنسان حريته في فعل ما يختار . لأن الله أيضا شاء أن يمزج بين القدر ، ومشية الإنسان ليتاح له عمل الخير والشر كما يريد » .

وهذا بطبيعة الحال فحوى العقيدة الإسرائيلية من بدايتها الأولى . وهو غير المعنى الذى تصوره فيلون الفيلسوف الإسرائيلى الذى نشأ فى الاسكندرية واقتبس عقيدته من الفلسفة وأسرار الديانة المصرية . فانه يعترف بالشر فى الوجود ولكنه يرجع به إلى امتزاج الروح بالمادة ومغالبة الحرية بضرورات الهيولى الجسدية . فهو ينقل المسألة من صورة الحاكم والمحكوم إلى صورة المبدأين المختلفين ، اللذين يقومان على اختلاف العقل والهيولى . ومهما يكن من تشابه بين الرأيين فى النتيجة الظاهرة فالمصدر الذى يصدران عنه على أبعد ما يكون المصدران المتعارضان .

* * *

ثم بدأت الدعوة المسيحية فى عصر فيلون ويوسفوس . وذكر السيد المسيح الأرواح الشريرة التى تسكن جسد الإنسان ، ولكنه لم يذكر قط شيئا يدل على أصول الشر التى وردت فى الكتب الإسرائيلية الأولى .